



علال الفاسي والقضية الفلسطينية

د. أحمد عبد الحليم عطية

أستاذ الفلسفة في جامعة القاهرة - ورئيس تحرير مجلة
أوراق فلسفية

تناول علال الفاسي في كتاب القضية الفلسطينية والقدس، تحليل النكبة وتأسيس إسرائيل ومناقشة الأسباب المختلفة التي أدت إلى ذلك وبيان مدى صحتها وبيان موقفه منها.

أولاً: يتوقف الزعيم والمناضل والمفكر المغربي علال الفاسي عند محاولة عدد من المعلقين العرب تحليل أهمية قضية يحياها العرب في تاريخهم المعاصر ويعاني منها الشعب العربي الفلسطيني بعد المؤامرة الكبرى في تاريخهم المعاش، والذي عرف تحت عنوان النكبة وبحث أسبابها، كما طرحها هؤلاء وفق أيديولوجيتهم. فجعلها بعضهم في الغاية التي اتخذها العرب أمامهم وأعلنوا عنها، وهي عدم حق إسرائيل وإجلاء اليهود عن فلسطين، مدعين أن ذلك أثار حمية الصهيونية أوروبا وأمريكا، وجعل الدعاية العربية خاسرة، ومن جهة ثانية رآها آخرون في القومية العربية، وزعمت طائفة أنها في التحالفات التي عقدتها دول العرب المهمة، إذ تجلت عن العالم الغربي، وقالت فئة أخرى: إن سرّ

الهزيمة هو في الاشتراكية العربية التي اتبعتها، وقال غيرهم إن الهزيمة نتيجة طبيعية للتخلف العربي في الفكر وفي الآلة إزاء التقدم التقني الإسرائيلي.

بينما يرى الفاسي على العكس من ذلك أن هذه الأسباب كلها ما كانت لتؤدي إلى هذه النكبة المخجلة والفضيحة المؤلمة. ⁽¹⁾ وفي رأيه أن السبب الوحيد لما أصابنا، وعلينا أن نتوقف عندما يقول وهو ضعف القادة، واعتمادهم على غير عقيدة الشعب؛ الذي يريدون أن يقودوه إلى النصر. ولذلك فالأمة العربية - كما يؤكد - بحاجة إلى أن تتاح لها فرصة تقرير مصيرها، واختيار من يحكمها بنفسه. ومن هنا يؤكد أن على الأمة الإسلامية أن تراجع حالها، وتجمع كلمتها، وتدخل في نضال واحد من أجل الحصول على حق تقرير المصير، إلى النضال الذي تريد والحكم الذي تختار، والحكام الذين يحظون بثقتها. موضعاً تلك الحقيقة، وهي أن الفوارق التي شتت وحدتهم ليست إلا أثراً من آثار الاستعمار الفكري، الذي نفث سمومه فيهم وفي شبابهم.

إن مأساة فلسطين كما يبين علال الفاسي هي مظهر للمؤامرات الصهيونية الصليبية، لقد تقرر فصل فلسطين أولاً عن الوطن السوري، الذي وزع باسم العقائد إلى سورية المسلمة ولبنان المسيحي، وفلسطين اليهودية، وحيل دون بناء كيان فلسطين عربية حرة لا كدولة مستقلة ولا كجزء من كيان عربي موحد. ويبين لنا الفاسي بعد ذلك كيف اغتصب اليهود فلسطين وأهم الأسباب التي أدت إلى ذلك؟

أهم هذه الأسباب التي يذكرها لنا هي أنه وعلى الرغم من مواصلة النداء الذي يوجهه الفلسطينيون وكل العرب من أجل توحيد الخطة، وإنشاء كيان فلسطيني موحد، من شأنه أن يجمع الفلسطينيين في صعيد واحد، دون وصاية لأحد عليهم، للنضال عن وطنهم وتحريره، وهو ما نزال نعانيه منذ علال الفاسي حتى اليوم، فقد مضى على النكسة الأولى تسعة عشر عاماً، حين تحدث الفاسي هذا الحديث دون أن يتخذ العرب قراراً موحداً بتكوين هذا الكيان ودعمه بصفة إيجابية، بل حاولوا استيعاب كل القادة ذوي



السمعة الحسنة، والتضييق عليهم، أمثال الحاج أمين الحسيني وشيعته، ومقاومة كل حركة تلقائية ترمي إلى بعث النضال الحق وفتح آفاقه. وهناك أيضًا مؤسسة الفتح، أو العاصفة التي انبثقت من صميم الشعب الفلسطيني، والتي تضم مجموعة من الأحرار، دون اعتبار للونهم السياسي، والتي لاقت كل المعاكسات من الحكومات العربية المجاورة لإسرائيل.

ويوضح الفاسي بعد ذلك أكاذيب الصهيونية على العالم كله، لقد تبين للعالم وجه الصهيونية، واتضح أنها لم تكن تريد تأسيس وطن قومي يأوي إليه المضطهدون من اليهود، كما كانت دعايتها تزعم، ولا تكوين دويلة روحية تحمي الديانة وتقوم بالدفاع عن اليهود، إذا اضطهدوا في جهة ما، ويحدد لنا الفاسي أنها كانت نتيجة تأمر يهودي - مغرق في القدم - على الإنسانية، يريد تكوين دولة يهودية تمتد من النيل إلى الفرات، وتتحكم في رقاب الشعوب المجاورة لها اقتصادياً وسياسياً، كما تتحكم في سائر الممرات البرية والبحرية والجوية.⁽³⁾

وعلينا بالفعل كما يؤكد الفاسي ألا ننسى التوجهات الأساسية الأولى للصهيونية وهي كونها توجهاً اقتصادياً رأسمالياً يمثل أعلى صور الاستعمار الاستيطاني، ويرجع الفاسي إلى كتاب: برنيس تروث لليهودي الإنكليزي: دين ميس هانواده، لتأكيد ذلك موضحاً ما يلي:

1 - إن عودة اليهود إلى فلسطين بصورة كاملة ونهائية ظافرين ستكون بعد الحرب الكونية الأولى التي ستقع قريباً، إذ إن هذه الحرب قائمة الآن، حيث إنها معلقة فوق رؤوس الشعوب الأوروبية، وفي هذه الحرب ستمزق الإمبراطورية التركية، وسيمتلك اليهود الأرض الموعودة ظافرين.

2 - ويسعى المؤلف إلى بيان، لماذا قرر الصهيونيون تفكيك الإمبراطورية العثمانية ومحاربة العالم الإسلامي.

اعتمادًا على ما كتبه الجنرال جواد رفعت الكاتب التركي في كتابه: الخطر المحيط بالإسلام؛ الذي يقول: إن رفض الخليفة إرضاء مطامع الصهيونيين، فحملهم ذلك على أن يقلبوا له ظهر المجن، وحركوا الماسونية؛ التي كانت قد تغلغلت في الشرق، واستغلوا غضب الشعوب العثمانية على أسلوب الحكم الفردي، ووضعوا نفوذهم الكلي على جمعية الاتحاد والترقي، وانتهى الأمر بخلع عبد الحميد.

3 - ويظهر لنا من تحليل علال الفاسي أن النكبة بدأت بالاستعمار الفكري:

لقد نجح الصهيونيون والصلبيون والمستعمرون في إفساد الروح الوثابة التي أخذت تنمو في نفوس العرب والمسلمين، منذ الصرخة التي أعلنها جمال الدين، ومحمد عبده، وغيرهما من قادة الفكر في عالم الإسلام الجديد. من هنا بدأت النكبة: من الاحتلال الفكري؛ الذي تغلغل في نفوس أجيال من قومنا باسم التقدمية والديمقراطية والاشتراكية، دون تعمق لمعاني الأشياء ونقد لفحواها. أما الغربيون: سواء منهم الصليبيون والمستعمرون، فقد غطت عليهم غايات الرأسمالية والعداء الصليبي للإسلام وطبعت على قلوبهم، فأصبحوا لا يفقهون.

4 - استطاعوا استخدام أعظم سلاح نفسي لجلب المومنين بالمسيحية إليهم، إذ استخرجوا من المجلس المسكوني قرارًا يمسح عنهم إلى حد بعيد عار الإدانة بقتل المسيح عليه السلام، ولم يتخذ ذلك القرار إلا تحت تأثير الرشاوى المتعددة، التي يبذلونها بسخاء للأوساط ذات النفوذ المعني.⁽⁴⁾

وبناءً على كل ما سبق وهذه التمهيدات التي قام بها الصهاينة، وقع الهجوم الغادر من طرف إسرائيل على مصر، ثم على الأردن وسورية، ولم تتدخل روسيا ولا أمريكا مباشرة، وسكت البابا عن حديث الحرب والسلام، وعن جلب روسيا لحظيرة الكنيسة من جديد.

ويحلل الفاسي هذه الأحداث وأسبابها تحليلًا سياسيًا اقتصاديًا وتاريخيًا موضحًا أن



كل الاحتمالات السياسية كانت تؤذن بإمكان اصطدام بين الدولتين العظيمةتين، فكان لابد للصهيونية من إثارة العالم المسيحي، والتمهيد فيما لو قامت حرب بين الدولتين، لتجنيد المومنين إلى قبول محاربة روسيا باسم الرسالة المقدسة لإعادتها إلى الكنيسة. فلما تعقلت الدولة السوفيتية وتركت الخطط الصهيونية الاستعمارية تنفذ دون أن تقاومها بغير وسائل الدبلوماسية والدعاية، أسكتت الكنيسة، ولم تطالب بغير أخذ نصيبها من الغنيمة في تدويل القدس، لتحقيق أحلام صليبي العصور الوسطى.

يتوقف الفاسي عند دور الخديعة والمال، التي مهدت للعدوان على فلسطين وساعدت على استمراره في الحروب التالية على العرب وفلسطين لتحقيق حلم إسرائيل «من النيل إلى الفرات»، ويذكر لنا لقاءً مهمًا تمّ بينه وبين لويس ماسينيون بالقاهرة عام 1950 حول حق المقاومة وعن رسالته إلى بابا الفاتيكان⁽⁵⁾.

فالل الذي يعطى للفاتيكان هو الذي عرض على الخليفة عبد الحميد فرفضه، ومن يدرينا؟ لعل البابوية التي برأت اليهود من دم المسيح تسائر اليهود، مخافة أن يصيبها من مكرها ما أصاب الخلافة الإسلامية.

الحكاية أن الرئيس روزفلت كان قد عرض على الملك عبد العزيز آل سعود، باسم اليهود عشرين مليوناً من الجنيهات الإسترلينية، مقابل السماح لهم بالعودة إلى أمكنة بني قينقاع، وقريظة والنضير في المدينة المنورة، فرفض عبد العزيز ذلك بكل إباء، وكان ذلك طبعاً قبل تأسيس دولة إسرائيل.

لا يتوقف دور الفاسي عند ذكر هذه الوقائع وإلا صار مجرد مؤرخ للأحداث التاريخية، لكنه أخذ في تحليلها وتعليل أسبابها؛ لبيان كيفية مواجهة النكبة، فمع تقدير دور كل من الملك عبد العزيز آل سعود والخليفة العثماني يصبح ليس فقط مؤرخاً مناضلاً، بل مفكر أو منظر للحرب وكيفية مواجهتها فهو يخبرنا: أنها كانا معاً يتمتعان بسلطة فردية قادرة على أن تفعل ما تشاء، ولا معقب لإرادتها، وتلك هي كما يعود

ليؤكد لنا نقطة الضعف التي أضرت بنا، وهي التي تحملنا دائماً أن نتذكر ضرورة الحاجة لتمتع الشعوب الإسلامية بحقوقها في تقرير مصيرها، وتحويل أنظمتها التقليدية إلى أنظمة ديمقراطية سليمة.⁽⁶⁾

يتوقف الفاسي لتحليل العلاقة بين إسرائيل والغرب على النحو التالي: ترى إسرائيل في الغرب رفيق طريق ليس إلا، لأنها متى استطاعت أن تصبح قوة دولية، وذلك لسيطرتها على ممرات البحر الأحمر، والأبيض، البرية والبحرية والجوية. فلا يوجد ما يمنعها أن تأخذ ذلك لنفسها، وتتصرف فيه حسب مصالحها هي لا حسب مصالح الغرب، فقد تتحول عن الغرب لتصبح حليفاً لأية قوة دولية تتفق مصطلحتها معها. والسبب هو أن تأسيس دولة إسرائيلية عالمية ليست وليدة الغرب ومصالحه، بل إنها فكرة يهودية سابقة في الزمن عن اكتشاف أمريكا، وميلاد كثير من دول الغرب الأوروبي.

تصل تحليلات الفاسي للأهداف الفعلية للصهيونية في تأسيس دولة إسرائيل، ليس أنها أداة للغرب ولا تحقيق حلم توراتي قديم، بل هي أعلى درجات الاستعمار الرأسمالي. ومن هنا يقول للذين يظنون أن التفاوض مع إسرائيل، أو إقرار سلام دائم معها، أو إنهاء الحرب، أو حتى اعتراف العرب بها، سينتهي خطرهما، لأن إسرائيل يعني بداية إمبراطورية تؤسس بالعنف، ولأن وجود إسرائيل يعني مركزاً مهماً وقنطرة عظمى للاستغلال الرأسمالي الغربي لخيرات العرب وإفريقيا وآسيا. والسؤال: ما هو الحل إذًا من وجهة نظره، لإزالة الخطر، وإقرار السلام في الشرق الأوسط؟

(1) قبل كل شيء يؤكد أن بقاء إسرائيل كدولة دينية سلالية [عنصرية] غايتها إعادة بناء الهيكل في القدس، وتأسيس الإمبراطورية اليهودية العالمية لا يمكن أن يقبله العرب والمسلمون ولا غيرهم من دول العالم الواعية.

(2) إن العرب في وضعهم الحالي غير قادرين على سحق إسرائيل بالقوة وإجلائهم عن الشرق الأوسط، كما يتحدث به بعض الساسة العرب دون تدبر ولا تقدير.⁽⁷⁾



(3) إن العرب والمسلمين لا يحملون أي عداة لليهود ولا لأي جنس آخر، وإنهم يعتبرون اليهود أهل كتاب، وإنهم كسائر البشر جديرون بالتمتع بالكرامة الإنسانية.

(4) على كل من العرب واليهود أن يفكر في الواقع، ويعلم أنه ليس في استطاعة أحد الطرفين أن يقضي على الآخر نهائياً، وعلى أنصار الفريقين معاً أن يفكروا في عواقب الحالة التي خلقتها الصهيونية في الشرق الأوسط وفي العالم.

من خلال هذه الحقائق الأربع يقدم الاقتراح الآتي، على الرأي العام العالمي ثالثاً، وعلى الرأي اليهودي المتحرر. ويتلخص هذا الاقتراح في:

أ - تخلي اليهود عن الصبغة الدينية والسلالية [العنصرية] التي أعطوها لدولتهم.

ب - تخلي العرب عن فكرة إجلاء اليهود الذين استوطنوا فلسطين.

ج - جلاء إسرائيل عن الأراضي التي احتلتها في الأردن وسورية وغزة وسيناء، وإرجاعها لحكوماتها.

د - عودة اللاجئين العرب إلى ديارهم، وتعويض اليهود ما فقدوه من مال بسبب تشردهم.

هـ - تأسيس دولة لا دينية فلسطينية في إسرائيل وإعطائها اسم الجمهورية الديمقراطية الفلسطينية.

و - وضع دستور الجمهورية على أساس وفاق بين الديانات والطوائف، بحيث توزع السلطة بصفة عادلة، وتكون اللغتان العربية والعبرية رسميتين للدولة.

ز - تتمتع الطوائف المقيمة في الجمهورية بكامل حريتها الدينية، ويمكن أن تنظم شؤونها الطائفية على الطريقة التي تريد، وتقوم الدول بواجب الرعاية والحماية والمساعدة المادية والمعنوية للجميع.

ح - تقبل الجمهورية عضواً في الجامعة العربية، وفي المؤسسات المنبثقة عنها، إذا رغبت في ذلك.⁽⁸⁾

ويؤكد أن الخوف من هيمنة الأقلية اليهودية ذات المستوى الرفيع عبر التكنولوجيا المنقولة عن الغرب على الشعوب العربية، التي يقال عنها إنها متخلفة، فهو وإن كان له ما يبرره، إلا أنه مبالغ فيه، لأن العرب ليسوا في درجة بعيدة عن المستوى الإسرائيلي.

إن شدة النكبة التي أصابتنا في فلسطين لتغطي على الكثير من مشاكلنا القومية، وتحول بيننا وبين الدراسة العميقة لأعقد شؤوننا.⁽⁹⁾

لقد أدت العلاقة بين إسرائيل والاستعمار إلى تفتيت قوة العرب في الحرب العالمية، لقد أصبح الاستعمار الصهيوني، أداة استعمارية تتجاوز طاقات إسرائيل وغاياتها، إلى طاقات وغايات أقوى توشك أن تؤدي بإسرائيل وبالعرب معاً. وقد وجد اليهود في ذلك مجالاً فسيحاً للبس قضية السلالية بقضيتهم الاستعمارية في فلسطين.

كل هذا واضح نستطيع فهمه والتعامل معه لكن من سوء الحظ، أن الحركة العربية كما يقول ونضيف نحن وربما الآن أيضاً؛ لم تكن بالدرجة التي تعرف كيف تقاوم المخطط الصهيوني في نفس الميدان الذي كانت تعمل فيه الصهيونية، فبقيت تتأرجح بين مختلف الاتجاهات، حتى بلورتها الأحداث في تبعية مجبرة عليها لإنكلترا وفرنسا، فأصبح مجهودها الحربي بجانب الحلفاء وقتلاها وضحاياها عطاء إنكليزياً فرنسياً، لا عطاء عربياً. ولم يفكروا في الطريقة السليمة التي يضعون بها الكيان الفلسطيني في مأمن من التفتت بسبب تشريد أبنائه. وهكذا أعطينا نصراً بارداً مجاناً لإسرائيل قبل وجودها. وبين الفاسي في تحليله، الذي يحمل راهنيتة الآن أن هناك جانبين للقضية الفلسطينية، يجب علينا أن نواجهها معاً.⁽¹⁰⁾

الجانب الأول: الباعث الصهيوني على تأسيس دولة يهودية سلالية ودينية في بيت المقدس وفلسطين، وهي فكرة انبثقت من ذاتية اليهود لتحقيق أمانهم السلالية القديمة،



وشجعهم عليها الاضطهادات التي وقعت لهم في روسيا وألمانيا القيصريتين.

والجانب الثاني: الأجهزة السياسية والاجتماعية التي خلقتها الصهيونية العالمية، لتكون حليفها في بناء الحكم الصهيوني المنشوء. معنى ذلك أنه استعمار مركب: صهيوني إسرائيلي ديني يعمل للسلالة اليهودية الإسرائيلية، وغربي يستعمل إسرائيل والصهيونية أداة مسخرة لخدمته، مقابل إسنادها وتأييدها. والمؤلم أن العرب لم يواجهوا الأمرين بما يستحقان من العناية والاهتمام.

فقد كان عليهم أن يبرروا قضية العداء الصهيوني للإسلام، ومكائده للأماكن المقدسة، وينشروا خطر الاستعمار الصهيوني في العالم الإسلامي كله، حتى يقع الوعي في أوساط المسلمين بأمر فلسطين، ولا يبقى من ينظر إليها على أنها مجرد خلاف بين دول تتزعم بناء الوحدة العربية، وبين جالية استقرت في فلسطين، وتريد أن تحكم بينها، على غرار ما فعله الرجل الأبيض في روديسيا، أو جنوب إفريقيا.⁽¹¹⁾

وهو يعود ليؤكد هذا الأمر تحليلاً غاية في الواقعية والعلمية والديمقراطية واحترام الأديان والسلالات على النحو التالي: ذلك أن العرب والمسلمين لا يرضون إلا إذا حلت قضية فلسطين حلاً عادلاً يضمن للفلسطينيين كيانهم الموحد، في دولة ديمقراطية لا دينية تتعايش فيها العناصر الموجودة والديانات السماوية الثلاث، إذ لم يعد في هذا العصر مكان لدولة تبنى على أساس السلالة. والتفوق الديني. إن الديمقراطية وحدها العلاج الصحيح، ولن يرضى الفلسطينيون عن غير عودتهم لبلادهم، وضمان وحدتها واستقلالها، كوطن قومي للفلسطينيين جميعاً.

ثانياً - وفي حديثه عن موقف الدول الإفريقية والآسيوية من القضية الفلسطينية، يؤكد أن قضية فلسطين ليست قضية جزء من البلاد العربية استعمره الصهاينة، بدعم الإنكليز، ثم الأمريكيين، ولكنها قضية العالم العربي، الذي أريد فصل طرفه الآسيوي، عن طرفه الإفريقي.⁽¹²⁾ لا بد من إعادة الفلسطينيين إلى أراضيهم وتقرير مصيرهم وتحرير القدس.

إن العودة إلى حدود عام 1967م، تتنافى حتى مع قرار التقسيم المتخذ من الأمم المتحدة، ولكن لا بد من إرجاع الفلسطينيين لأراضيهم، وإعطائهم حق تقرير مصيرهم داخل بلادهم.

ومن هنا يرفض الفاسي بشدة كل تنازل عن حق الفلسطينيين الطبيعي والتاريخي، وعن حقنا جميعاً في استرجاع بيت المقدس ومدنته ورفض أي تدخل أو تدويل بشكل من الأشكال.⁽¹³⁾

يتوقف علال الفاسي عند قضية مهمة كان له دور متفرد فيها تتعلق بهجرة اليهود إلى فلسطين بصفة عامة وهجرة اليهود المغاربة بصفة خاصة، وهو يرفض هذه الهجرة التي تؤدي إلى تزايد أعداد اليهود وتكون في نفس الوقت ضد الفلسطينيين، مؤكداً رفض هذه الدعوة الصهيونية، التي تريد أن تجلي عن المغرب أهم المواطنين اليهود لتضييق بهم على العرب في وطنهم العربي الصميم. مؤكداً أن سياسة الهجرة اليهودية لفلسطين مبنية على خرافة عنصرية مليئة بالتعصب الديني والجنسي، وإن رقعة إسرائيل الحالية لا تستطيع إيواء كل يهود العالم، إلا على حساب الدول العربية والمجاورة، وإلا لتحقيق استغلال رأسمالي للشرق الأوسط. ومن هنا فهو ينبّه إلى خطورة المشروع الإسرائيلي الصهيوني الرأسمالي مشيراً إلى أن بعض الرأسماليين الأمريكيين؛ الذين يؤمنون هذه الهجرة باستمرار يخطئون، إذا كانوا يظنون أنهم سيستعملون إسرائيل قنطرة لاستغلال الشرق الأوسط بصفة رأسمالية، لأن الشرق الأوسط يبني اليوم نفسه ولن تحمله التنمية الاقتصادية الداخلية إلا على مقاومة السيطرة الاقتصادية الأجنبية كيفما كان نوعها.

وبناءً على ذلك، يرفض علال الفاسي المشروع الروسي؛ الذي تقدمت به روسيا، لأن هذا المشروع كما يرى لا يعطي أهمية لشعب ودولة فلسطين. والحق أن هذا المشروع هو تصفية نهائية للمشكل الفلسطيني، على حساب الشعب الفلسطيني، الذي له وحده - كما يؤكد - حق تقرير المصير، بعد عودته لبلاده وتحريرها من الاحتلال الأجنبي، والمهم



أن هذا المشروع يلزم العرب:

أولاً: بإعلان إنهاء حالة الحرب بينهم وبين إسرائيل.

ثانياً: بالاعتراف بحدود آمنة ومعترف بها لإسرائيل.

ثالثاً: ضمان الوجود الإسرائيلي في المنطقة من العرب ومن الدول الكبرى في مجلس الأمن.

وذلك يعني التخلي عن فلسطين، وعن حركة الفداء والتحرير القائمة داخل الأرض الحبيبة؟ والأهم وهو ما نؤكد عليه دائماً ومراراً أن فلسطين قضية العرب والمسلمين جميعاً، إلا أن القرار الأول والأخير في مصيرها أصبح في يد أبنائها الفلسطينيين الموجودين داخل حركة الفتح وأنصارها. ومن هذا المنطق يجب على الدول الكبرى، والأمم المتحدة، أن تعيد النظر في موقفها من فلسطين والفلسطينيين، وتبحث عن حل لإسرائيل كدولة صهيونية على أساس ديمقراطي وطني، ولا لإسرائيل كدولة صهيونية يهودية تعتصب جزءاً من فلسطين، فلا محل للتفكير في إمكان بقائها.⁽¹⁵⁾

ويخبرنا أن مجلس الوزراء المغربي اتخذ قراراً بحل منظمة (الكاديا)، التي كانت تشرف على هجرة الصهيونيين لفلسطين ومنعت الحكومة الهجرة اليهودية إلى ذلك البلد العربي المنكوب بالاستعمار الصهيوني، لأن ذلك يتنافى مع التضامن العربي من جهة، ولأن اليهود المواطنين يجب أن يستمروا في داخل وطنهم، للقيام بواجبهم نحو المغرب في هذا العهد الذي هو عهد التجديد والبناء.

يستنكر علال الفاسي أن يتم حرق هذا القرار، وأن تتم هجرة بضع مئات من اليهود من طنجة، أو من الدار البيضاء على مرأى ومسمع من ولاية الأمر والمسؤولين عن حراسة الحدود. ويرى، وتلك مسألة غاية في الأهمية أن للتسامح حداً، وأن الحقوق المعترف بها لمواطنينا اليهود؛ تفرض عليهم واجبات الإخلاص للمواطنين جميعاً، وللوطن، وإن المغرب العربي لا يمكنه أن يسمح للصهيونية بأن تتخذ من ربوعه ميداناً للتجنيد،

والإعداد والتأمر على فلسطين العربية. من هنا يطالب الفاسي بتكوين جبهة إسلامية لمواجهة الخطر الصهيوني مقابل فوضى القيادة العربية في مواجهة إسرائيل⁽¹⁶⁾.

لنستمع إليه يقول وكأنه حيٌّ بيننا اليوم: قد لا تستطيع إسرائيل البقاء في هذا القطاع وقد تضطرها الظروف للخروج منه، وقد يعود لأهله أو لحماية المصريين؛ الذين لا يريدون منه غير البقاء عربياً فلسطينياً، ولكن إجراءات اللعب اليهودي الغربي خطيرة جداً، خصوصاً وهذا هو المهم، وقد أصبح لا يقابلها إلا تلاعب المسؤولين في البلاد العربية بمستقبل أمتهم وتفضيلهم الانتصار على بعضهم بعضاً على ردّ دسائس المستعمرين. فهل يستفيق العرب ممّا أوقعتهم فيه فوضى القيادة، وأنانية القادة؟ وي طرح السؤال الأساسي يجب أن تكون إسرائيل بالنسبة إلينا عامل التقدم الاقتصادي والاجتماعي في الجزء من العالم الذي ينقصه ذلك.

يؤكد الفاسي على العلاقة بين الاحتلال الصهيوني لفلسطين والاستعمار الفرنسي في الجزائر حين يورد قول الوزير الفرنسي⁽¹⁾، يجب تأكيد الودّ الإسرائيلي الفرنسي للسلام لا للحرب؛ للإسعاف على إحياء بلاد الأردن لمصلحة الإسرائيليين، لمصلحة العرب، أي الذين سيصبحون تحت حكم إسرائيل، واستئناف ما توقف من تعاون فرنسي - إسرائيلي في ميدان الذرة، ذلك العمل الذي كان قد بدأه السيد «منديس» بمجرد ما شكّل حكومته الأخيرة، تأييد مطلق لإعطاء إسرائيل حق المرور في القنال وفي العقبة، وضمان سلامة إسرائيل بإنشاء منطقة حياد في سيناء... ومن هنا يطرح الفاسي السؤال: هل إن مستقبل فرنسا ونفوذها سيكون حسناً في الشرق إذا تحيزت ضد العرب كل هذا التحيز؟ ويضيف إليه السؤال الآخر: هل من شأن هذه السياسة أن تقضي على الجامعة العربية كمبدأ؟ والسؤال الثالث: هل إن تحقيق ما سبق كله سيكفي لحل مشكلة الجزائر؟ هكذا يطرح

(1) بيار منديس فرانس (Pierre Mendes France) أصول يهودية، تقلد عدة مهام، أهمها: وزير الاقتصاد الوطني في الحكومة المؤقتة للجمهورية الفرنسية، ورئيس الحكومة من 19 حزيران / يونيو سنة 1954م إلى 17 شباط / فبراير سنة 1955م. عن الحزب الراديكالي الاشتراكي.



المناضل العربي والمفكر العربي السؤال تلو السؤال لفتح الوعي على الأسئلة الجوهرية، محددًا المواقف التي علينا مناقشتها في بلداننا المختلفة من أجل قضيتنا الأساسية في فلسطين.

مؤكدًا أن أقوال منديس هي تضليل الرأي العام الفرنسي حول تأييد إسرائيل، ويتساءل من جديد: هل يريد منديس مصلحة إسرائيل، لأن في ذلك مصلحة فرنسا؟ أم يبحث عن تضليل الرأي العام الفرنسي لتوريثه بجانب إسرائيل، وتوحيد مصلاحتها، حتى تصبح الدولة الفرنسية هي الأمة المسخرة لخدمة الاستعمار الصهيوني؟ وينبّه الفاسي إلى أن مصالح فرنسا، ورؤوس أموالها، وأسهمها العديدة، في القنال وفي مصر لم يعطها أي حق في التدخل في شؤون مصر الداخلية، مادامت مصر قد رفضت ذلك. مؤكدًا أن تأميم القنال لعمل قانوني باعتراف سائر الخبراء، ولذلك لم يفد فرنسا أي ادعاء، حتى اضطرت إلى استعمال العنف الذي لم يجدها نفعًا، بل اعتبرت الأمم المتحدة جمعاء عملها تدخلًا غير مشروع⁽¹⁷⁾.

ويتجه المناضل المغربي بالحديث إلى الشعب الفرنسي: هل يتفق هذا العمل مع الرأي العام الشعبي الفرنسي؟ وهو يعتقد على العكس من ذلك، فالشعب الفرنسي وإن وقع في تضليل زعمائه مؤقتًا فلا بد أن ينتبه إلى أن مصالحه ليست في تأييد الاستعمار بجميع مظاهره بما في ذلك الاستعمار الصهيوني، الذي هو مجرد أداة مسخرة للرأسمالية الاستعمارية الغربية. ومن المهم للغاية تأكيد على العلاقة بين الاحتلال الصهيوني والرأسمالية الغربية.

رافضًا هذا المشروع الذي يحاول إرضاء الإسرائيليين؛ الذين يطالبون بعدم إرجاع غزة لمصر، وذلك عن طريق القيام باستفتاء عام في هذه المنطقة الفلسطينية العربية التي تحميها مصر.

يتحدد هذا الاستفتاء في اختيار إحدى المسائل الثلاث: وهي:

1 - هل توافق على ضم غزة لإسرائيل؟ 2 - هل توافق على ردّ غزة لمصر؟ 3 - هل تطالب بتدويل غزة تحت رعاية الأمم المتحدة؟

ويرى الفاسي محقّقاً أن مصر لا يعينها أن تبقى غزة تحت يدها، إلا من جهة قيامها بما يجب عليها نحو ذلك الجزء من فلسطين العربية، ومن جهة أنه الحصن الأمامي للدفاع عنها أمام التوسع الصهيوني. وعلى هذا فهو يضيف إلى الأسئلة السابقة اختيارات أخرى، موجّهًا حديثه إلى السكرتير العام للأمم المتحدة. على النحو التالي: لو أنصف السيد «همر شولد لجعل على الأقل في جملة الأسئلة:

هل تريد تأسيس دولة مستقلة؟ هذا هو السؤال الأساسي الذي سيظل مطروحاً، ويذكرنا: لقد سبق للمؤتمر الفلسطيني المنعقد تحت رعاية الجامعة العربية أن أسس جمهورية عموم فلسطين، يرأس حكومتها السيد حلمي باشا، ولا تزال هذه الحكومة الرمزية قائمة حين كتب الفاسي ذلك داخل مصر وفي حمايتها.

ويتساءل: فلم إذا لا تعترف الجامعة العربية بحكومة عموم فلسطين، وتقويها وتوكل إليها أمر الدفاع عن وحدة الأراضي الفلسطينية، ومقاومة الاحتلال الصهيوني. مؤكداً أنه لا محل للاستفتاءات الدولية في نظرنا في كل ما يرجع للحقوق الطبيعية للشعوب، وإن فلسطين عربية، والجزء المحرر منها سواء في غزة أو في الأردن، لا يمكن أن يكون إلا نواة لتحرير القسم المحتل، ولو طال الزمن.⁽¹⁸⁾

لقد تبلورت السياسة الفرنسية في الشرق العربي، فأصبحت مبنية على تأييد إسرائيل في جميع مطالبها ضد العرب، تسعى إلى تدويل منطقة غزة. ونزع السلاح من سيناء. ويضيف عبارة مهمة تحتاج ترجمة اليوم لتأكيد معناها وتحديد كقيمتها: إن مصر مؤيدة بالعالم العربي والإسلامي ستتغلب على الصعاب التي تعترضها الآن، وتحرر غزة من إسرائيل، ومن محاولة التدويل، ومصر من كل محاولة للتدخل في شؤونها الداخلية. وهذا نصيب إسرائيل من السياسة الفرنسية فيما يتعلق ببلاد العرب.



أما نصيب إنكلترا فتأييدها على طول الخط في مطالبها من مصر، ومن اليمن، وغير ذلك مما كان سبباً في إقلاق أمن منطقة الشرق الأوسط. دون أن يكون لها ما يستوجب تدخلها في مسائل بعيدة من مناطق نفوذها.

وبالإضافة إلى تعليقه على موقف كل من إنكلترا وفرنسا من قضية فلسطين، يتناول موقف الرئيس الأمريكي «إيزنهاور» في قضية غزة. موضحاً أن السياسة الأمريكية تبذل كل مجهودها لتنفيذ نقاط ثلاث:

1 - إجلاء الجيوش الإسرائيلية عن غزة. 2 - تدويل منطقة غزة. 3 - حرية الملاحة في القنال.

ويشيد الفاسي بالقرار الأول ويرفض الأخيرين. مؤكداً أن غزة جزء من فلسطين العربية، وأنه لا يمكن أن يعقل تدويل الجزء المحرر من فلسطين، بينما يبقى الجزء المحتل تحت سيطرة إسرائيل، فإذا كان لا بد من التدويل، فليكن ذلك لفلسطين كلها.

ويؤكد المفكر المناضل الزعيم الوطني المغربي موقفه السابق من غزة من ضرورة عودة الجامعة العربية لسياستها مع القسم غير المحتل من فلسطين، أي إحياء وتنظيم حكومة عموم فلسطين، وتمكينها من حكم منطقة غزة بنفسها دون تدخل من الدول الأجنبية، وقبولها عضواً في الجامعة العربية، وفي منظمة الأمم المتحدة. أما نحن فاعلون؟

إن مشروعاً مثل هذا يحظى بالقبول، إذا كان سيضع حداً لتحرشات الإسرائيليين، ومهاجمتهم للحدود العربية في كل مناسبة، وفي الوقت نفسه سيكون استمراراً لسياسة بدأتها مصر، ودافعت عنها داخل الجامعة، منذ أن وقع الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين العربية.⁽¹⁹⁾

ولا يترك مناسبة دون التأكيد على حقيقة الاستعمار الاستيطاني الصهيوني كمشروع رأسمالي في الأساس وأن علينا أن نفهمه في هذا السياق. كما يظهر في قوله: كانت المطامع التي يعلنها الصهيوونيون دائماً تتحدث عن صحراء سيناء، التي يدعون أنها مكان التجلي

الإلهي لنبي الله موسى، والتي تقدم ميداناً للاستثمار الاقتصادي عظيمًا جدًا.⁽²⁰⁾

يربط الفاسي ربطاً وثيقاً على العلاقة القوية بين الحركة الوطنية المغربية والقضية الفلسطينية، مؤكداً أن لجنة حماية فلسطين والأماكن المقدسة بذلت مجهودات جليلة في العمل لإشعار الرأي العام المغربي بخطر الصهيونية على العروبة كلها وإذاعة كل منشورات اللجنة العربية العليا وفتح اكتتابات وبعث احتجاجات والقيام بإحياء يوم فلسطين وغير ذلك من الأعمال التي كنا نشارك بها العالم العربي والإسلامي.

وقد استطاعت هذه اللجنة أن تنشر الدعاية ضدًا على الصهيونية حتى في أوساط اليهود المغاربة، إلى حد أنهم وقّعوا وثيقة مشتركة وجهت للخارجية الإنكليزية، احتجاجاً على قرار اللجنة الملكية التي قررت تقسيم فلسطين لثلاث مناطق.⁽²¹⁾ وهو يحذّر من إلقاء العبء كله على أكتاف الفدائيين والمقاومة، وتملص الحكومات من العمل لإنقاذ فلسطين بوسائلهم الرسمية. فالمسألة تحتاج إلى أكثر مما تقوم به جماعات مجاهدة ومستبسلة.

في اليوم الذي تحتفل فيه المغرب بذكرى وثيقتي الاستقلال والتعادلية، تحل ذكرى ثالثة عزيزة علينا، ألا وهي ذكرى مرور خمسة أعوام على اندلاع الثورة الفلسطينية. وكلكم تذكرون أن فتح العظيمة بدأت عملها الفدائي الجبار سنة 1965م. وتذكرون أنني في المجلس الوطني المنعقد إذ ذاك، عرفت بهذه المنظمة العتيقة ورجالها الأحرار، وأعلنت تأييد حزب الاستقلال لها، ومطالبته بمناصرتها.⁽²²⁾ وهو المطلب الذي لا زلنا نعيه من أقوال الفاسي اليوم مع طلاقات الرصاص التي تخترق صدور شهداء فلسطين.



الهوامش والمراجع:

- 1 - علال الفاسي: القضية الفلسطينية في الفكر والوجدان، منشورات مؤسسة علال الفاسي، المغرب 2018، ص 7 - 8.
- 2 - علال الفاسي، القضية الفلسطينية ص 10 - 11.
- 3 - المرجع السابق، ص 12 - 13.
- 4 - المرجع السابق، ص 17.
- 5 - علال الفاسي، القضية الفلسطينية، ص 19 - 20.
- 6 - المرجع السابق، ص 25.
- 7 - المرجع السابق، ص 26 - 27.
- 8 - «خطب المجلس الوطني لحزب الاستقلال - علال الفاسي - الطبعة الأولى، جمع وإعداد وترتيب: المختار باقة الصفحة 277 منشورات مؤسسة علال الفاسي والموضوع ضمن خطاب الزعيم علال الفاسي في المجلس الوطني لحزب الاستقلال المنعقد بالرباط بتاريخ 13 و 14 تشرين الثاني / نوفمبر. سنة 1968م.
- 9 - علال الفاسي: القضية الفلسطينية، ص 33.
- 10 - المرجع نفسه، ص 35.
- 11 - المرجع نفسه، ص 39.
- 12 - المرجع السابق، ص 41.
- 13 - المرجع السابق، ص 56.
- 14 - نفس المرجع السابق، ص 50 - 51.
- 15 - نفسه، ص 53 - 55.
- 16 - المرجع نفسه، ص 67 - 68.
- 17 - علال الفاسي، ص 70 - 71.
- 18 - المرجع نفسه، ص 76.
- 19 - المرجع السابق، ص 79 - 80.
- 20 - المرجع السابق، ص 85.
- 21 - المرجع نفسه، ص 91.



درب الآلام.. مسار رحلة المسيح من المحاكمة إلى الصلب